
التيسير
لتفريغ صوتيات أهل العلم وصف الكتب


التيسير
لتفريغ صوتيات أهل العلم وصف الكتب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

مستمعينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلًا وسهلًا ومرحبًا بكم في برنامج "مسائل في العقيدة" أيها الإخوة الأفاضل في هذه الحلقة سنتحدث بإذن الله -تبارك وتعالى- عن الدلالات العقدية المستفادة من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤]، ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

الآيتان من سورة الأنفال آية (٢٤)، وآية (٢٥) وأما ضيفنا فهو فضيلة الأستاذ الشيخ: إبراهيم ابن عامر الرحيلي، أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، والمدرس بالمسجد النبوي، وباسمكم فإني أرحب بفضيلة الأستاذ، وأشكر له تعاونه مع البرنامج، فأهلًا وسهلًا ومرحبًا بكم فضيلة الدكتور.

الشيخ: حياكم الله والإخوة المستمعين.

المحاور: فضيلة الدكتور في مطلع حلقتنا نود بيانًا إجماليًا لهاتين الآيتين من هذه السورة الكريمة، سورة الأنفال.

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يفتتح الله -تبارك وتعالى- الآية الأولى بهذا الخطاب العظيم مخاطبًا المؤمنين باسم الإيمان كما قال -تبارك وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهذا النداء من الله - تبارك وتعالى- مخاطبًا به المؤمنين بوصف الإيمان فيه ترغيب للمؤمنين بامتثال ما يأمر الله -عزَّ وجلَّ- به بعد هذا النداء، ثم قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:٢٤]، وهذا أمرٌ من الله -عزَّ وجلَّ- بالاستجابة لله



وللرسول، والاستجابة هنا كما قال المفسرون: هي الإجابة، يعني أجيبوا الله ورسوله، وقرن الله بين أمره وأمر رسوله، لأن النبي -صلى الله عله وسلم- إنما يأمر بأمر الله ويبلغ عن الله -تبارك وتعالى-.

وفي اقتران الأمرين وما دعا الله -تبارك وتعالى- إليه من الاستجابة لأمر الله ورسوله فيه زيادة تأكيد لهذا الأمر، أنه أمرٌ من الله وأمرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]، أي إذا أمركم بما فيه حياتكم، وما فيه حياة القلوب على أقوال لأهل العلم في معنى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]، ثم قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال:٢٤]، في الأوامر الأولى: الأمر بالاستجابة لله وللرسول -صلى الله عليه وسلم- إذا دعانا لما يحيينا ما فيه حياتنا، ثم جاء هنا الترهيب من مخالفة أمر الله، ومن مخالفة أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال:٢٤]، وفي هذا من الزجر ومن الوعيد ما يجعل المؤمن يخاف من مخالفة أمر الله؛ لأن الله إذا حال بين المرء وقلبه ما استطاع القلب أن يستقيم على شيء، فإن هذه القلوب كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء**»، ثم ختم الآية الأولى بقوله: ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤]، أي أنكم ستحشرون إلى ربكم بعد البعث، والحشر من المسائل العظيمة التي دلت عليها النصوص الشرعية، وهو أصل عظيم من أصول الإيمان باليوم الآخر، وهو حشر الخلائق إلى ربهم -تبارك وتعالى- في يوم الحشر ثم ما بعده من الحساب والجزاء.

ثم قال الله -تبارك وتعالى- في الآية الثانية: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥]، ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾: أي تجنبوا هذه الفتنة، على اختلافٍ أيضًا بين المفسرين في مفهوم هذه الفتنة فقيل: هي القتال، وقيل: الكفر، وقيل: الشرك، وقيل: البدع، ﴿ لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾: أي أن هذه الفتنة ليست مقتصرة على الظالمين، بل تتعدى إلى غيرهم لأمورٍ كثيرة ذكرها بعض المفسرين، ومن ذلك سكوت هؤلاء على الإنكار على هؤلاء الظالمين، ثم ختم الله -تبارك وتعالى- الآية



الثانية بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]، أي اعلموا أن الله –عزَّ وجلَّ– كما أنه أمركم ورغبكم في الخير، فإنه شديد العقاب لمن خالف أمره، وبهذا يتبين دلالة هاتين الآيتين على الترغيب والترهيب، رغب الله في الاستجابة لأمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقال: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وهذا فيه ترغيب أن كل ما يأمرنا الله به – عزَّ وجلَّ – ففيه حياتنا، وفيه حياة القلوب، وحياة الأبدان، ثم يأتي أيضًا الترهيب من مخالفة أمر الله في قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وفي قوله: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]، وفي قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

المحاور: جزآك الله خيرًا، وبارك الله فيكم، أحسن الله إليك بودنا أن نقف عند مفاهيم بعض الكلمات حتى تكون أجلى لمستمعنا الكريم، في أول النداء الله تبارك وتعالى ينادي المؤمنين بهذا الوصف وذكرتم أن في هذا الترغيب ما علاقة الإيمان بهذه الأعمال الصالحة؟ هل العمل الصالح من الإيمان؟ أم هو شيء منفصلٌ عنه؟

الشيخ: نعم بارك الله فيكم، الإيمان كما هو معلوم هو الأعمال الصالحة، فالإيمان يتألف من الشعب الإيمانية وهي حقيقة الأعمال الصالحة، كما فسر النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث أبي هريرة الحديث المشهور في الصحيحين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شعبة أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَعلاها شهادة: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ**»، يلاحظ هنا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– فسر الإيمان بهذه الشعب الإيمانية، وهذه الشعب منقسمة إلى شعب إعتقادية وإلى شعب قولية، وإلى شعب عملية، ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «**أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**»، هذه شعبة قولية، وأدناها: «**إماطة الأذى عن الطريق**»، وهذه شعبة عملية، ثم قال: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»، لما ذكر الأعلى والأدنى نبه بمثالٍ عن الشُّعب المتعلقة بالقلوب وهو الحياء، ولهذا اشتهر عن أئمة السلف وعن أهل السنة إلى هذا العصر تفسيرهم للإيمان إلى أنه اعتقاد وقول وعمل، والإيمان بلا خلاف بين أهل السنة أنه داخل في حقيقة الإيمان، والذين أخرجوا العمل من حقيقة الإيمان هم المرجئة، ولهذا سموا المرجئة لإخراجهم العمل، ولإرجائهم العمل عن حقيقة الإيمان، لأن الإرجاء هو التأخير، فهؤلاء أخرجوا العمل من الإيمان فسموا مرجئة، فأهل السنة متفقون على أن الأعمال الصالحة



داخلة في الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولكن الإيمان له إطلاقان في النصوص؛ يطلق على أصل الإيمان وهو ما يتحقق به الإسلام، وهذا هو المذكور في قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل الجارية قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء، قال: «**ومن أنا؟**» قال: أنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، وكذلك قال الله -عزَّ وجلَّ- في العتق: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، فهذه الرقبة المؤمنة، قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» ليس المقصود بالإيمان الكامل، وإنما المقصود هو الإيمان الذي يُدخل في الإسلام وهو ما يسمى عند أهل العلم، وعند أهل التخصص في باب الاعتقاد، يسمونه (أصل الإيمان)، ويسمونه (مطلق الإيمان) كما يقول شيخ الإسلام: "لا ننفي عن العصاة مطلق الإيمان، ولا نثبت لهم الإيمان المطلق"، مطلق الإيمان هو الأصل وهو الإسلام. فهذه النداءات كثيرًا في الكتاب والسنة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني يخاطب بها جميع المؤمنين الذين دخلوا في الدين، كما في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء:١٣٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾: أي دخلوا في الإسلام، ﴿آمِنُوا﴾: أي كملوا الإيمان.

والإطراق الثاني: إطراق الإيمان على الحقيقة الكاملة، وعلى الإيمان الكامل، وهو الذي يستوجب به العبد بتوفيق الله، وبرحمته الجنة؛ كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢]... إلى آخر الآيات.

فالإيمان الذي يترتب عليه الثواب ودخول الجنة إذا قرن الإيمان بدخول الجنة فهو الإيمان الكامل، الواجب، وأما أصله فهو ما تقدم كما في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ [الأنفال:٢٤].

المحاور: جزآكم الله خيرًا، بعد ذلك ما هو مفهوم قوله هنا: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ [الأنفال:٢٤]؟.

الشيخ: نعم، هذا أمر من الله - تبارك وتعالى- بعد أن خاطبهم بالإيمان قال: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾، وهذا دليل المسألة السابقة، وهو أن الإيمان المذكور في النداء، هو أصل الإيمان، ﴿اسْتَجِيبُوا﴾: أي



استجيبوا إلى حقائق الإيمان، لأنه قال بعد ذلك: استجيبوا لله وللرسول، قال المفسرون ومنهم الإمام "أبو عبيدة" وهو إمام في اللغة، وإمام في التفسير قال: معنى ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ أي أجيبوا، قال بعض المفسرين أيضًا: الاستجابة هنا هي الإجابة، وذكر الإمام أبو عبيد أن الاستجابة، أن هذا الفعل قد يتعدى، وقد يكون لازمًا، فإذا أطلق بلفظ الاستجابة؛ فإنه يتعدى باللام، كما قال هنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٢٤]، وأما إذا خوطب الناس بأجيبوا فإنه يتعدى بنفسه كما في قوله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف:٣١]، وذكر أيضًا أنه قد يأت في لغة العرب وإن كان هذا قليل الاستجابة فتتعدى بنفسها كما في قول الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

قال: فلم يستجبه عند ذلك، وما قال: يستجب له، فهنا استجاب تعدى بنفسه، فهذا هو الفرق بين الإجابة والاستجابة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى؛ فالاستجابة هي بمعنى الإجابة، ولهذا فسر كثير من المفسرين الاستجابة هنا بمعنى أجيبوا، ومعنى الإجابة هنا امتثال أمر الله كما يقال لمن دُعي إلى وليمة فحضر، يُقال: أجاب، فإجابته هنا بامتثاله بما وُجه إليه، وامتثال أمر الله – عزَّ وجلَّ – بفعل الطاعات، وترك المعاصي استجابة لأمر الله تبارك وتعالى.

يُلاحظ أيضًا قول الله – عزَّ وجلَّ-: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ [الأنفال:٢٤]، هذه فيها لطيفة وهو أن الله يقول: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾، وكأن الذي عصى الله كأنه لم يستجب، وهذا فيه وعيد، ما قال الله عز وجل: أفعلوا كذا وكذا، استجيبوا كأن الذي لم يطع الله عز وجل ما استجاب، وفرقٌ بين أن يقال أن فلان ما حقق طلب فلان، أو يقال لم يستجب له، فإذا قيل: لم يستجب له، فهذا أبلغ، ولهذا خاطبهم الله – عزَّ وجلَّ – بهذه اللفظة العظيمة التي تدل بمفهوم المخالفة كما هو معروف عند العلماء وعند المفسرين، أن من لم يمتثل أمر الله فكأنه لم يستجب لأمر الله –تبارك وتعالى–، لكن في هذه المسألة التفسير كما هو معلوم إذا كان يُعتقد الطاعة ولا يمتثل، ويعتقد المعصية ولا ينتهي، كما قال شيخ الإسلام: هذا عنده نصف الإيمان، وأما إذا ترك الإيمان بالكلية فلم يؤمن بوجوب الواجبات، ولم يعتقد تحريم المحرمات، فلا شك أن هذا كفر بهذا الفعل إذًا قامت عليه الحجة بذلك.



المحاور: جزآك الله خيرًا، بعد ذلك نريد أحسن الله إليك مفهوم ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، هناك أوامر أمرنا الله بها، تُحيينا كيف يكون هذا الإحياء؟

الشيخ: نعم بارك الله فيكم هذه اللفظة قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ذكر المفسرون في معناها عدة أقوال، قالوا: المعنى الأولى: ﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، أن الذي يحييكم كل ما يدعو الرسول –صلى الله عليه وسلم– ففيه حياة، فكأنه قال: هذا الرسول –صلى الله عليه وسلم– يدعوكم لما فيه حياتكم، وهذا فيه ترغيب، وكثيرًا ما تقترن النصوص بمثل هذه المرغبات، كما في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لمعاذ: «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» يعني هذا الترغيب، يعني لن نأخذ من أموالكم، وإنما تؤخذ من أغنيائكم وترد لفقرائكم، كذلك هنا هذا الأمر وامتثالكم له هو حياة لكم، والله –عزَّ وجلَّ– غنيٌّ حميد عن عباده، ولكن العبد هو المنتفع بهذه الأوامر، ولهذا حقيقة هذا التشريع هو من الله، هذا التشريع العظيم ما شرع الله لنا من هذا الدين، وما نهانا عنه هذه منة من الله أن شرع لنا هذا الدين، هذا فيه حياةٌ، نحن لا نستطيع الآن ولا يوجد نظام بشري يحقق السعادة للناس في هذه الحياة بنظام كما جاء به الشرع، نظم الحقوق، حق لله، وحق لولي الأمر، وحق للوالدين، وحق للأقارب، وحق للجيران من الذي يستوعب هذه الأوامر، ومن الذي يأتي بمثل هذا النظام العظيم، لولا الله – عزَّ وجلَّ – شرع لنا هذا الدين.

الوجه الثاني: قالوا: أن معنى ﴿يُحْيِيكُمْ﴾، أي أنه يدعوكم إلى الحق، وفي لزومكم للحق حياة، لأن الحق فيه حياة الناس، والظلم والبغي فيه هلاكهم.

المعنى الثالث قالوا: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي للإيمان، وفي الإيمان حياتكم.

المعنى الرابع قالوا: إتباع القرآن، إتباع القرآن هو الحياة.

المعنى الخامس قالوا: إنه الجهاد، يحييكم بمعنى أنكم إذا جاهدتم الكفار، والمشركين ففيه حياة لكم.

المعنى السادس قالوا: في معنى قوله – عزَّ وجلَّ –: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي إحياء أمورهم، إحياء أموركم في الدنيا، كل ما فيه مصالحكم في الدنيا، وما فيه صلاح شئونكم في هذه الحياة، فإن هذا



الدين قد جاء به، مما يتعلق بالمصالح النفسية أو ما يتعلق بالمصالح المتعدية للغير، أو ما يتعلق بالحقوق، أو مصالح الأموال، أو مصالح الأقارب والأرحام، كل هذه الأمور جاء بها القرآن، وبينها الله -عزَّ وجلَّ- وشرعها لنا.

فهذه اللفظة على الصحيح أنها شاملة لكل ما جاء به الشرع، فهذا الشرع فيه حياةٌ لنا في هذه الحياة، وفيه حياةٌ لنا في الحياة الباقية التي هي الحياة الأبدية السرمدية، عندما يدخل أهل الجنة الجنة، فدخولهم الجنة كما قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، وهذا العمل هو الذي أمر الله -عزَّ وجلَّ- به، فهذا الدين فيه حياة، ولعل هذا يظهر ويبرز في مثالٍ من الواقع كما تلاحظون، ويلاحظ الإخوة المستمعون؛ الفرق بين حياة المؤمن وحياة الكافر، يعني يظهر من خلال يعني هذا التأمل يسير كيف يعيش المؤمن؟ وما مدى استقراره النفسي؟ وهذه الحياة الطيبة التي يعيشها المؤمن.

وتلك الحياة التي يعيشها الكافر، ولهذا يكثر الانتحار في بلاد الكفر، بينما لا تجد هذا في بلاد المسلمين إلا عند من ندر أو شذَّ منهم، وهذا رجع أيضًا إلى خلل وتقصير في استقامته على طاعة الله.

المحاور: جزآكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، بعد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]، هل هناك من أمثلة؟ كيف يحول الله -تبارك وتعالى- بين المرء وقلبه؟

الشيخ: نعم؛ هذه الآية كما ذكرنا هي متضمنة هذا الجزء من الآية هو متضمن لوعيد، وهو تخويف من هذا الأمر العظيم في مخالفة أمر الله -عزَّ وجلَّ- وأنه قد يؤدي إلى هذا الأمر الذي قد يقدره الله على العبد، وهو قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]، يحول بين المرء وقلبه: قال بعض المفسرين: يحول بينه وبين إخلاصه، بعضهم قال: يحول بينه وبين قصده، وهذا ملاحظ في الناس أن الإنسان قد يريد شيئًا فيقدر الله -عزَّ وجلَّ- النسيان، فيذهب (١٨:٥٠)، وقد يريد الإخلاص فلا يوفق له، فهذا الأمر العظيم فيه تخويف من أن هذا الامتثال لأمر الله -عزَّ وجلَّ- قد يكون من عقوبته أن الله يقدر عليه هذا الأمر، وهذا الأمر المخيف حقيقة في أن الإنسان إذا ما خالف أمر الله -عزَّ وجلَّ- قد يقدر الله -عزَّ وجلَّ- عليه أن يحول بينه وبين قلبه وبين إخلاصه وبين دينه، وإذا قال الله -عزَّ وجلَّ- في اليهود: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ بجوارحهم،



وخالفوا أمر الله أزاغ قلوبهم، ولهذا دائمًا نقول: من زاغ فيما يملك، أزاغ الله منه ما لا يملك، نحن جوارحنا الآن يملك الإنسان يده، وبصره، وقدمه، ولسانه يملك هذا، ولكن القلب لا يملكه إلا الله –عزَّ وجلَّ–، ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»، وكان أكثر قسم النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «لا ومقلب القلوب»، وكان يكثر في دعاءه في السجود: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فهذا الأمر حقيقة مخيف، هو من الأمور العظيمة التي ينبغي للمسلم وللمؤمن أن يتفطن لها في أن بعض الناس يظن أن عقوبة المعصية هي يوم القيامة، وأنه متى ما شاء أن يتوب تاب، ولا يدرك أنه قد تحول بينه وبين الهداية هذه المعصية، ويكتب الله –عزَّ وجلَّ– عليه الزيغ في هذا الأمر، ففي حقيقة هذا الجزء من الآية فيه وعيد يعني عظيم لمن عقله في أن الإنسان إذا خالف أمر الله –عزَّ وجلَّ– قد يقدر عليه هذا الأمر، فيصبح بعد ذلك وقد فقد إخلاصه ودينه، ولا يجعل الله –عزَّ وجلَّ– فيه الإرادة والعزيمة للخير.

المحاور: بعد لك الآية الثانية، أحسن الله إليك، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، هل لأهل العلم والتفسير فيها ذكر سبب النزول أو فيمن نزلت؟

الشيخ: نعم؛ ذكر بعض المفسرين في نزول هذه الآية عدة أقوال، قيل: أنها نزلت في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويستشهدون من ذكر هذا من ذكره المفسرين بأثر عن الزبير بن العوام –رضي الله عنه– أنه قال: "لقد قرأناها زمنًا وما نرى أنا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها"، قال هذا بعد موقعة الجمل، لما وقع القتال بين الصحابة –رضي الله عنهم– وحصل هذا الأمر، فجاءت هذه الفتنة وعمت الناس، ولهذا قيل في الفتنة هنا أنها القتال، أنه جاء هذا القتال الذي عم الناس، هذا قولٌ.

القول الثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، وهذا منقول عن ابن عباس –رضي الله عنهم–.

القول الثالث: أنها عامة، يعني لم تنزل في رجل، وإنما نزلت على سبيل العموم، وأن الله أمر المؤمنين بذلك، وخوفهم من هذا الأمر.

والرابع: أنها نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير، وفي هذا إشارة أيضًا للقول الأول في هذه الفتنة التي وقعت بين الصحابة والقتال الذي وقع بينهم، وهذا أمر قدَّره الله –عزَّ وجلَّ– وأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، نعم وُجد القتال بينهم، لكنهم لم يتفرقوا في دينهم، وإنما كان لهم اجتهاد وتأويل –رضي الله عنهم.



المحاور: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، يفهم منها أن الفتنة ليست خاصة بالظالمين، فهل تصيب الفتنة غير الظالم؟ وما وجه ذلك؟ أم الذي لم يظلم ما وجه إيقاع الفتنةِ عليه؟

الشيخ: نعم هذه الآية يعني - كما تفضلتم يا شيخ عبد الرحمن - في أن الذي قد ينظر إليها نظرة عامة يفهم من ذلك أن هذه الفتنة التي أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عنها أنها كما قال الله -عزَّ وجلَّ- ليست مقتصرة على الظالمين، وإنما قد تعم غيرهم، وهذا لا يشكل حقيقة على أصول التشريع، وأصول العقيدة في أن دائمًا المخالفات إذا وقعت تقع من بعض الناس، ومن لم يدخل في هذه المعصية وهذه المخالفة يبقى هناك طرف آخر، هذا الطرف لم يظلم، ولم يعصي، ولكن هل يُنكر أو لا يُنكر؟ وقد ينقسم القسم الآخر إلى قسمين: منهم من يُنكر، ومنهم من لا يُنكر، كما ورد في قصة أصحاب السبت، فهؤلاء الذين يعمهم العقاب قال العلماء: هم الذين لم ينكروا المنكر، هذا الذي لم ينكر المنكر لا يقال أنه ظالم، لكنه بتركه الإنكار عما هو العقاب، ولهذا قال العلماء: أن من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذا وُجدت في الأمة أنه ترتفع بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر العقوبات العامة، فالعقوبات ما دام في المسلمين من ينكرها، فإنه بإذن الله لا يقدر الله العقوبات العامة بها، لكن إذا ترك الناس الإنكار أُناس يعصون وآخرون يسكتون؛ هؤلاء هم الذين قال عناهم الله -عزَّ وجلَّ- بقوله، مع النظر إلى الأصول الأخرى وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة:٧-٨]، هذه أصل في أن الله لا يعاقب أحدًا بجريرة غيره، وفي الحديث: «**لا يجني والدٌ على ولد**»، يعني لا يجني أحد على آخر، ولكن دائمًا إذا وجدنا العقوبات ينبغي أن نبحث عن السبب في أن الله قدر هذه العقوبة، لأن الله لا يظلم العباد مثقال ذرة، ولكن لما هنا؟ قال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، ما نبه إليه أهل العلم من أن هذا إنما يعم الساكتين، وعدم المنكرين، أما إذا أنكر المنكر فبإذن الله أن هذه العقوبة لا تشمل هؤلاء.

المحاور: جزآك الله خيرًا، وبارك الله فيكم، هنا في هذه الآية الله يأمرنا بأن نتقي الفتنة، فما هي الفتنة عمومًا؟ وهل لها معنى خاص في هذه الآية؟



الشيخ: نعم؛ الفتنة من حيث اللغة هي الاختبار، ولهذا.. الفتنة تطلق في النصوص على معاني كثيرة، والمفسرون في هذه الآية وفي غيرها عندما ترد هذه اللفظة لهم أقوال متعددة في تفسير الفتنة، وهذه التفسيرات كلها مرجعها إلى ما دلت عليه الأدلة من هذه المعاني، فقيل: إن الفتنة هنا القتال، يعني أنه إذا وجدت المعاصي ولم ينكر بعضكم على بعض، عمت الفتن، ووجد القتال، ووجد الهرج، وكثرت سفك الدماء، وهذا واقع في الأمة، أنه إذا لم يقم المسلمون بالإنكار، تجرأ أهل البغي بالظلم، ثم وجد بعد ذلك القتال، وقيل: أن الفتنة هي الشرك، وقيل: البدعة، وقيل: المعاصي، وقيل: الفتن هو ما يصيب الأمة من البلاء، وهذه المعاني كلها تشملها هذه اللفظة؛ في أن الأمة قد تبتلى بهذا، وقد تبتلى بهذا، وقد تبتلى بهذا، كما دل التاريخ في أن هذه الأمة تتعرض لبعض هذه الفتن، ولبعض هذه الأمور التي هي حقيقة داخلة في عموم مفهوم الفتنة، كما دلت على ذلك الأدلة، وأما أمر الله -عزَّ وجلَّ- باتقائها وبتجنب هذه الفتنة، وهذه الفتنة إن قيل أنها مقدرة كالبلاء الذي يصيب الناس فتجنب البلاء بتجنب أسبابه، فلا يمكن أن ندفع ما يقدر الله علينا مثلًا من الحروب والفتن، لا قدرة للناس عليها ولكن تجنب أسبابها، لما قامت الحروب؟ لما قامت الفتن؟ لما وجد الشرك؟ لما وجدت البدع؟ بسبب تقصير الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا عمت هذه المخالفات هنا جاءت الفتن، وجاء القتال، وجاء سفك الدماء، واعتدى أهل البغي والظلم على حقوق المسلمين.

المحاور: أحسن الله إليك، وبارك الله فيك، ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]، هل له مفهوم وارتباط معين؟

الشيخ: نعم، هذه الآية كما تلاحظون أنها اشتملت على كثير من التوجيهات، كذلك الوعيد في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]، ثم ختم الله -عزَّ وجلَّ- الآية الثانية في هذا السياق بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]، أمركم، ونهاكم، ورغبكم، ولكن في مقابل هذا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]، وهذا يرد كثيرًا في النصوص في أن الله يرغب ويرهب، -فسبحان الله- هؤلاء الناس وعامة الخلق منهم من يستجيب للترغيب، ومنهم من يستجيب للترهيب، وهذا شيء معروف حتى أن العلماء فاضلوا بين تغليب جانب الترغيب أو الترهيب، وتغليب جانب الرجاء أو الخوف، ومن أهل العلم من قال: يغلب جانب الرجاء في حال الضعف، ويغلب جانب الخوف في حال الصحة والفراغ، ومنهم من قال: أنه يغلب ما هو أصلح،



فإن الناس يتفاوتون، من هؤلاء عمر بن عبد العزيز أحد أئمة التابعين وهو الخليفة الراشد، كان قبل الخلافة توسع في شيء من المباحات مع الاستقامة على طاعة الله، لكن لما تولى الخلافة حصل له من الزهد والورع ما لم يكن فيه قبل فسُئِل فقال: "إن لي نفسًا تواقة، وقد حصلت على أعظم ما في الدنيا فاشتاقت إلى ما هو أعلى وهو الجنة"، فقال العلماء: هذا يدل على أنه كان يعمل بالترغيب، وأن له نفس وعزيمة في المعاني وفي معالي الأمور، فلما نال أعظم ما في الدنيا اشتاقت نفسه لما هو أعظم، هذا دليل على أن بعض الناس الترغيب يؤثر فيه، وأن طلبهم الرفعة والمنازل العالية لأن بعض الناس جُبل على حب الفضل، وعلى حب معاني الأمور، فإذا ما رغب فيه رغب، وبعض الناس ليس له عزيمة في أن يكون مقدمًا في هذا الشأن، لكن إذا خُوِف خاف، والله -عزَّ وجلَّ- حكيمٌ عليم، فرغب العباد ورهبهم، ولهذا هذا الذي ينبغي حقيقة أن يخاطب به الناس دائمًا يخوفوا بالله ويرغبوا، فلا نعطيهم من الخوف الذي يقنطهم، ولا أيضًا نرغبهم الترغيب الذي يفسدهم، وإنما يكون هذا الأمر وسط بين هذين الأمرين، وكتاب الله -عزَّ وجلَّ- اشتمل على هذه الحقيقة، في المسالك مسلك الترغيب ومسلك الترهيب، وكذلك السنة.

المحاور: جزآكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، أيها الإخوة المستمعون كنا مع صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم ابن عامر الرحيني أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، والمدرس بالمسجد النبوي، حيث حدثنا مشكورًا عن الدلالات العقدية المستفادة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٤-٢٥]، حيث حدثنا مشكورًا في هذه الدقائق عن أهم الدلالات العقدية، وبعض الجوانب التفسيرية والتوجيهية والدعوية في هاتين الآيتين من سورة الأنفال.

نسأل الله -تبارك وتعالى- على أن يكون ما قدمه نافعًا مباركًا، وأن يجعل الله -تبارك وتعالى- ذلك في موازين حسناته، نستودعكم الله -تبارك وتعالى- آملين اللقاء بكم وأنتم على خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.